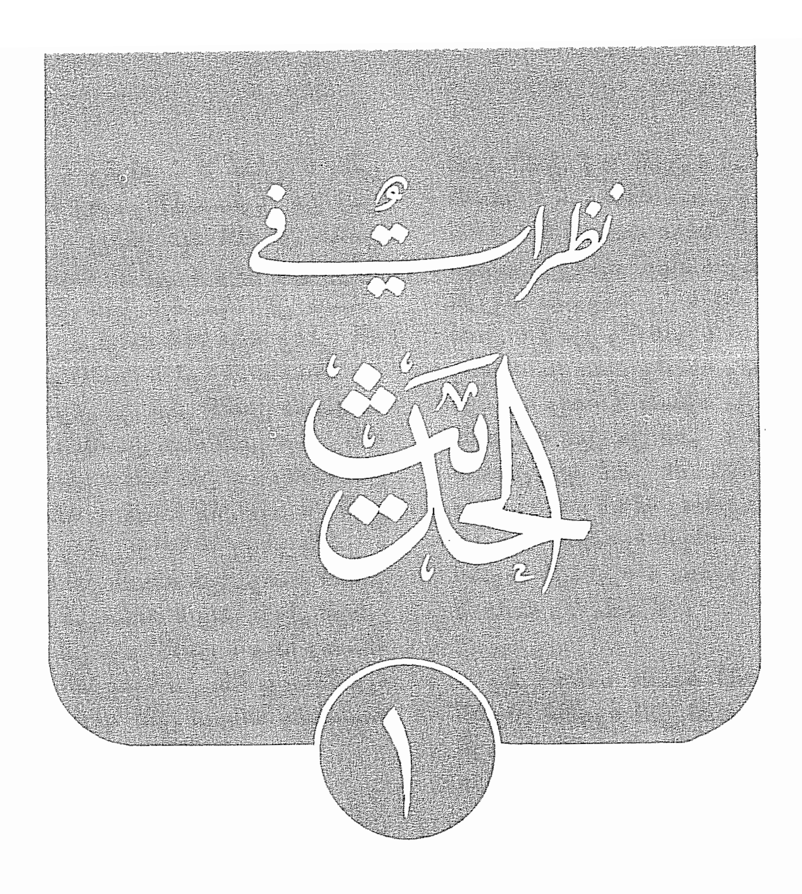


للدكتور محمد عبد الرءوف

عن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف قال :
« ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن لدان ، ولدنا مولدا واحدا » .
وعن عبد الله بن عباس قال :
« ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » .

كلّ من يحب المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحرص على اتباع سنته يسعى قدر الامكان ليتعرّف على شخص الرسول الكريم وفضائله وأقواله وشمائله ، ويزيد ذلك ترغيبا ما يمتاز به الحديث الشريف من جمال العبارة وروعة الأسلوب وغزارة المعانى .

نستهل صدر هذا المقال بحديثين ، الأول من كلام قيس بن مخرمة وقد رواه الامام الجليل أحمد فى مسنده ، وفيه يحدث قيس أن ميلاده وميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم كانا فى عام الفيل وهو عام ٥٧٠ أو عام ٥٧١ من التقويم الميلادى على ما

يقولون ، وقوله : « لدان » مثنى « لدة » وهو المساوى فى زمن الولادة . ويذكر عبد الله بن عباس فى الحديث الثانى ، وهو من رواية الامام ابن حنبل أيضا ، أن ميلاد الرسول صلوات الله عليه وعلى آله كان يوم الاثنين ، ثم زاد فأفاد بأن أياما أخرى من أيام الاثنين شهدت أحداثا جليلة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، فكما كان يوم ولادته كان يوم وفاته ، كما كان يوم أن أفلح بحكمته وفض نزاعا كان ينذر بالشر ، في مكة قبل البعثة حول وضع الحجر الأسود في مكانه ، وبدأ نزول الوحي عليه في يوم الاثنين ، وبدأ رحلة الهجرة التاريخية من مكة يوم الاثنين، ووصل يثرب التي سماها مدينة رسول الله يوم الاثنين .

قد يقال : كيف نعتبر هذين النقلين من الحديث النبوى مع أنهما ليسا من كلام الرسول نفسه بل من كلام بعض أصحابه ؟ والواقع أن لفظ الحديث كاصطلاح خاص بين العلماء يطلق على كل ما يذكر فيه شيء عن الرسول عليه الصلاة والسلام حتى ما يذكر فيه أوصافه البدنية ، ومن ذلك حكاية أم معبد التي قصّت على زوجها أبى معبد في مساء يوم مبارك بعد أن عاد مع غنمه وذكرت له كيف بورك في شاتهما التي خلّفها الجهد عن الغنم ببركة زائر عرّج على خيمتها مع صاحبيه ، فادرك أبو معبد أنه صاحب قريش وطلب منها أن تصفه له ، وقد أورد محمد بن سعد القصّة في كتابه : الطبقات الكبرى ، ونقتبس من وصفها للرسول ما يلى :

« رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، متبلج الوجه ، حسن الخَلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صَعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفي صوته صَحل ، أجود أكحل أزجّ أقرن ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ، إذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سماً وعلاه البهاء ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدّرن ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفّون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، واذا أمر تبادروا الى أمره ، محفود محشود ، لا عابث ولا مفند » .

وإلى جانب هذه المجموعة من الأقوال المأثورة التى تصف شخص الرسول الكريم أو تتحدث عن مراحل حياته صلى الله عليه وسلم هناك مجموعة أخرى تحدثنا عن أفعاله صلوات الله تعالى عليه أو تصف فضائله ومواقفه ، ومنها نتخذ العبرة ونستمدّ القدوة ويستخلص التشريع للأمة ، ولنسق من هذا النوع الحديثى الأمثلة الآتية :

روى مسلم بن الحجاج رضى الله عنه فى صحيحه عن أنس بن مالك قال :

« لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، أن أنسا غلام كيس فليخدمك قال : فخدمته فى السفر والحضر ، والله ما قال لى لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لمْ تصنع هذا هكذا ؟ »

وروى أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم أشد حيــاء من العــذراء فى خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه » .

وروى مسلم كذلك عن موسى بن انس عن ابيه قال :

« ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا إلا أعطاه ، فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه فقال : يا قوم أسلموا فان محمدا — صلى الله عليه وسلم — يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« ما خير رسول اللى صــلى الله عليــه وســلم بين امرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فان كان اثما كان أبعــد الناس منه ، ومــا انتقم رسول الله صلى الله عليه وســلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله عزّ وجــلّ » .

وروى البخارى ومسلم وأحمــد — واللفظ له — عن البراء بن عازب قال :

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اول ما قــدم المدينة نزل على أجداده أو أخواله من الانصار ، وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وانه صلى اول صلاة صلاها صــلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال :

« أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، قال : فداروا كمــا هم قبل البيت ، وكان يعجبه أن يحول قبل البيت ، وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبــل البيت انكروا ذلك . »

وروى احمد عن أبى عباس الزرقى رضى الله عنه قال :

« كنا مع رسول الله صــلى الله عليــه وســلم بعسفان فاســتقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا رسول الله صــلى الله عليه وسلم الظهــر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، قالوا : تاتى عليهم صلاة هى أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم ، ثم قال : فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهــر والعصر : (وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة) قال : فحضرت ، فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا الســلاح ، قال : فصففنا خلفه صفين ، قال : ثم ركع فركعنا جميعا ، ثم رفع فرفعنا جميعا ، ثم ســجد النبى صلى الله عليــه وســلم بالصف الذى يليــه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلمــا ســجدوا وقاموا جلس الآخــرون فسجدوا فى مكانهم ، ثم تقدّم هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، قال : ثم ركع فركعوا جميعا ، ثم رفع فرفعوا جميعا ، ثم سجد النبى صلى الله عليه وســلم والصف الذى يليه والآخرون قيــام يحرســونهم ، فلمــا جلس جلس الآخرون ، فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف ، قا ل: فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بعسفان ومرة بارض بنى سليم » .

ولا يحتوى واحد من هذه الأحاديث على كلمة واحدة من الفاظ الرسول

صلى الله عليه وسلم ، ولكنها تصف بعض فضائله واعماله ، فاحدهــا يصف حلمه ، وآخر يصف حياءه ، وثالث يتحــدث عن كرمه المنقطــع النظير ، وتحدثنا ام المؤمنين عن سنته صلى الله عليه وسلم في الأخذ بالأيسر ما اجتنبت المحارم وعن صبره على الأذى الا إذا انتهكت حرمات الله ، ويذكر الحديث التالي تحويل القبلة الى البيت الحرام وبعض ما حــدث عندئذ ، ويفيدنا الحديث الأخير كيف نظم رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف المسلمين لصلاة الخوف وكيف امَّهم فيها ، ويستنبط من هذا النوع من الأحـــاديث الكثيرُ من مكارم الأخلاق وتفاصيل الشريعة الغراء .

والنــوع الثــالث من الأحــاديث النبــوية ما ينكــر من فعـــال أو عادات جرت على عهده ولكن سكت عنهــا ولم يعترض عليهــا ، فدلّ سكوته على مشروعيتها وحــلها ، ويسمى هــذا « تقريرا » ومن ذلك ما يلي :

روى النسائي عن جابر انه قال :
« كنا ناكل لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
وروى النسائي ايضا في ســننه عن ام المؤمنين عائشة قالت :
« إن كان ليكون عليّ الصيام من رمضــان فما اقضـــيه حتى يجيء شعبان » .

فاكل لحم الخيل على عهده صلى الله عليه وسلم مع عدم اعتراضـــه عليه يدلّ على حلّه ، كما ان تاجيل السيدة ام المؤمنين قضاء ما فاتها من صيام أيام الحيض من شهر رمضان الى حلول شهر شعبان ــ مع عــلم رسول الله صلى الله عليه وســلم بذلك ــ يدل على جوازه حيث سكت ولم يعترض عليه . فانه صلى الله عليه وسلم ما رأى منكرا وســـكت عنه ، فمن ذلك ما يلي :

روى مســلم في صـــحيحه عن عبد الله بن عمر قال :

« رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب في يد رجــل فنزعه وطرحه وقال : يعمد أحـــدكم الى جمرة من النار فيضعها في يده »

وروى مسلم أن عائشة قالت انها كانت اخذت نمطا فسترته على الباب فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم فراى النمط « عرفت الكراهيـــة في وجهه ، فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال : ان الله لم يامرنا أن نكســـو الحجارة والطين » قالت : « فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفا فلم يعب عليّ ذلك »

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عرضت أمامه آراء متعارضة أقرّ منها ما هــو مشروع فاثبته ، وبذلك ينكر ما عداه ، ومن ذلك ما رواه أمام المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه عن ابن عمـــر انه كان يقول :

« كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعـــون فيتحينون الصـــلاة ليس ينادى لها ، فتكلموا يوما في ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثــل ناقوس النصارى ، وقال بعضـــهم : بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادى بالصـــلاة ؟ فقال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم : يا بلال قم فناد بالصلاة . »
فامر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا بالنداء للصلاة دل على تسويغ الأذان ومشروعيته ، كما دل في نفس

الوقت على انكار ما اقترح من دق الناقوس أو استعمال البوق للدلالة على حضور وقت الصلاة .

وأبلغ أنواع الحديث وأعلاها ما أثر من كلام النبى نفسه صلى الله عليه وسلم ، فقد أوتي جوامع الكلم، وكانت عباراته فى أعلى درجات النقاوة بعد كتاب الله تعالى ، ونسوق من ذلك ما يلى :

روى ابن ماجه أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من حسن أسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وروى ابن ماجه أيضا فى سننه عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ قال : يتعرّض للبلاء لما لا يطيقه » .

وروى البخارى ومسلم وأبو داود ــ واللفظ للبخارى ــ عن عبد الله بن عمر قال : أن رجلا سال النبى صلى الله عليه وسلم : أى الاسلام أفضل ؟ قال ــ صلى الله عليه وسلم :

« تطعم الطعام وتفشى السلام على من تعرف ومن لم تعرف »

وأخرج مسلم عن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله عليه وسلم قال :

« عجبا لأمر المؤمن ، أن أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا المؤمن ، أن اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

وروى الترمذى وأبو داود ــ اللفظ للأول ــ عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« بين الكفر والايمان ترك الصلاة »

وروى أبو داود عن جابر وابن طلحة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما من امرىء يخذل امرءا فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » .

ومن هذا القسم العالى من الحديث ما أكده الرسول صلوات الله تعالى عليه بنسبته الى الله سبحانه ، ويسمى بالحديث القدسى ، وهو كالحديث النبوى . لفظه هو لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته هى مكانة سائر الأحاديث النبوية ، فلا يتعبد بتلاوته ولا يحرم مسّه او حمله للمحدث ولم يتحدّ بلفظه كما تحدى بالقرآن الكريم . ولنقتبس من الأحاديث القدسية ما يلى :

روى الترمذى فى جامعه المسمى ايضا بالسنن ، عن أبى سعد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يقول الرب عزّ وجل : من شغله القرآن وذكرى عن مسالتى أعطيته

افضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزّ وجل قال :

« ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك ، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وان هم لسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فان همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » .

وفى باب صلاة الضحى روى الترمذى عن أبى الدرداء وأبى ذر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عزّ وجل قال :
« ابن آدم ، اركع لى من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره » .

وأكثر الأحاديث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقيها شفاهيا فتتلقفها اسماع الصحابة رضوان الله عليهم فتعيها ذاكرتهم ، ولكن بجانب ذلك ما أملاه الرسول الأمىّ عليه الصلاة والسلام من كتب بعث بها الى عماله او الى الملوك ورؤساء العشائر ومن معاهدات عقدها واتفاقيات أبرمها كمعاهدة الحديبية مع قريش وكدستور المدينة الذى كتب عقب الهجرة والاتفاقات التى عقدها النبى صلى الله عليه وسلم مع بعض القبائل ، ونسوق هنا على سبيل المثال لنختم به المقال كتابه صلى الله عليه وسلم الذى وجهه الى هرقل يدعوه فيه الى الاسلام .

روى هذا مسلم عن ابن عباس ، وقد حدثه به أبو سفيان نفسه وقد تصادف ـ وهو لا يزال بعد يقود معركة قريش ضد النبى صلى الله عليه وسلم ـ ان كان بالشام يوم وصل دحية الكلبى الصحابى الجليل بالكتاب الى هرقل وكان بالشام كذلك ، يحدث أبو سفيان كيف استدعاه هرقل ومن معه من قريش مكة ذاك اليوم ، ليلقى عليه بعض الأسئلة عن محمد ودينه ، وذكر أبو سفيان أنه أضطر لقول الحق حيث أمر هرقل من مع أبى سفيان من قريش بتصحيح قوله اذا أخطأه الصواب ، وكيف أن اجاباته عن الرسول أثارت اعجاب هرقل فقال :
« ان يكن ما تقول حقا فانه نبى ، وقد كنتَ أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم ، ولو أنى أعلم أنى أخلص اليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمى » ثم دعا هرقل بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ـ فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الأريسيين ، يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .